

مقدمة

تعد ظاهرة جنوح الأحداث من الظواهر النفسية الاجتماعية الخطيرة التي تنخر في جسد كل المجتمعات سواء أكانت متطورة أو نامية، فوفقا لأغلب التقارير فإن معدل الجريمة قد ارتفع في كل المجتمعات تقريبا، وبالخصوص المجتمعات الصناعية، و أيضا المجتمعات التي يوجد بها ثغرات بين طبقة الأغنياء والفقراء، حيث لا يمكن أن نفتح جريدة أو نشاهد تلفازا دون وجود تقارير عن أعمال إجرامية، وتفكير وتأمل في شخصية المجرم وفي بعض الأحيان في ضحيته (Furnham & Heaven, 1999, P 156)

و الجزائر مثلها مثل باقي الدول لم تسلم من هذه المشكلة، التي تطورت بشكل مذهل

و رهيب خاصة خلال العشريتين الأخيرتين، فحسب إحصائيات الدرك الوطني لسنة 2007 فقد تم توقيف أكثر من 2000 حدثا جانحا، و قد تراوحت المخالفات المسجلة من ضرب و جروح عمديه، و سرقة و تكوين جمعية أشرار وانتهاك أعراض، و تحطيم أملاك الآخرين وأملاك الدولة و حالات عنف. و تنصدر القائمة الجزائر العاصمة بتسجيلها لأكثر عدد من الحالات، ثم مدينة سطيف، و تأتي بعدها مدينة وهران، ثم مدينة ورقلة و مدينة باتنة. (Amel Bouakba, 2008). وفي هذا الصدد يفسر خياط Khat رئيس الهيئة الوطنية لترقية و تطوير البحث FOREM جنوح الأحداث في الجزائر بنقص السلطة الوالدية، و الفشل الدراسي و أيضا نتائج العشرية السوداء حيث يقول بأن المدرسة الجزائرية يتسرب منها سنويا حوالي 400000 طفل.

كما تشير إحصائيات حديثة لمحكمة الأحداث بالولايات المتحدة الأمريكية لسنة 2003 بأن محكمة الأحداث قد تناولت حوالي 1,7 مليون حالة جنوح سنة 1999، أكثر من نصف الحالات تورط فيها شباب تقل أعمارهم عن 16 سنة. بالإضافة إلى أن ما يقارب الربع أي 24% من الحالات التي تم إيقافها قد تورط فيها إناث، و كانت اغلب الحالات التي أحييت على محكمة الأحداث تتعلق بجرائم ضد الممتلكات وذلك بـ 42% متبوعة بجرائم ضد النظام العام 23% و جرائم ضد الأشخاص 23% ثم تعاطي المخدرات

و الكحول 11%. (Bartol & Bartol, 2005) عن (National Center for Juvenile Justice, 2003)

و يمكن تعريف الجنوح بأنه كل فعل يعاقب عليه القانون، يقوم به حدث لم يتجاوز عمره الثامنة عشر، إذا قام باقتراه شخص راشد يعاقبه القانون بالسجن، أما الحدث الجانح فيحكم عليه قاضي الأحداث، بوضعه في المراكز المتخصصة لإعادة التربية أو مراكز حماية الطفولة، و تتراوح هذه الأعمال الإجرامية التي تصدر عنه من جرائم ضد الأشخاص، إلى جرائم ضد الممتلكات، إلى جرائم تعاطي المخدرات، إلى جرائم ضد النظام العام إلى الجرائم القانونية. و يربط المتخصصون في جنوح الأحداث بين اكتساب السلوك الجانح و اكتساب مفهوم منحرف عن الذات، و لذلك يأخذ البعض بعين الاعتبار مفهوم الذات كأساس للتنبؤ بجنوح الأحداث، حيث وجد فيتس و هامر Fitts & Hammer علاقة بين تقدير الذات و الشذوذ النفسي كما وجد جوبلين بأن مفهوم الذات يعتبر عنصرا أساسيا و فعالا في جنوح الأحداث. (Eyo, 1981)

و يقرر كلايريس Callaprese (1987) بأن الحدث الجانح الذي يتورط في سلوكيات جانحة يتصف في الغالب بالتهميش، و التسرب المدرسي، أو عدم الفعالية في دراسته، يكون ضد السلطة، و لديه ميول انتحارية، يتعاطى المخدرات و الكحول و يرفض المعايير المؤسسة من الأسرة و المدرسة و المجتمع عموما.

(Kenneth ST, Levy, 1997)

كل هذه الخصائص يمكنها أن تعكس حالة مفهوم الذات لدى المراهق الجانح، فكثيرا من الجانحين لا يحبون أنفسهم، و يرون أنفسهم كسالى سيئين و جهلة، كما يشعرون بأنهم غير أكفاء منبوذون عاطفيا و يتعرضون لإحباط حاجاتهم إلى التعبير عن الذات و ينعكس ذلك في سمات دفاعية مثل التمرد و عدم الاستقرار و الكراهية، و الميل إلى التخريب

و التدمير كما يتسمون بالاندفاعية و يفتقرون إلى القدرة على ضبط الذات و السيطرة على النفس. (بول مسن و آخرون، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، 1993)

و يعتبر اريكسون Erikson (1968) بأن أزمة الهوية مشكلة مركزية في مرحلة المراهقة حيث تعتبر فترة تشويش و تمرد و يجب أن تجد حلا خلال هذه المرحلة، فإذا فشل المراهق في تحقيق ذاته و حل صراعاته، فإنه سيكوّن مفهوما سلبيا عن ذاته، خاصة إذا أدرك بأنه غير محبوب و غير مقبول من الآخرين، و بالخصوص من الأشخاص المهمين في حياته و قيم نفسه على أنه شخص فاشل و غير كفء، و تنقصه المهارات الاجتماعية خاصة إذا كان يعاني من التأخر الدراسي أو التسرب المدرسي.

و قد ربط المنظرون في جنوح الأحداث بين اكتساب السلوك الجانح و اكتساب مفهوم منحرف عن الذات. حيث طور كل من ركس و دينيتز و ميراي **DLinitz & Murray & Recless** فرضية تقول بان مفهوم الذات يرتبط بالجنوح و ذلك إما بالقيام بعزل الفرد و حمايته من التورط في السلوكيات الجانحة أو بزيادة قابليته للإنجرار.

و هذا يعني أن الفرد الذي يكون مفهومه عن ذاته ايجابيا يكون سلوكه أكثر توافقا و أقل جنوحا من الذي يكون مفهومه عن ذاته سلبيا.

و في هذا الصدد نجد الكثير من الدراسات التي تناولت مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين و توصلت أغلبها بأن الجانحين يحملون مفهوما متدنيا عن الذات مقارنة بالأحداث غير الجانحين، من هذه الدراسات دراسة إيو(1984)Eyo، و طومبسون(1974)

Thompson و كنيث ليفي (1997)Kenneth, Levy و ايفانز و آخرون(1991)Evans & AL و قريفيين و الطالب(1994)Grefin & AL Talib و ادامز و آخرون(2003)Adams & AL.

و قد أكد العلماء على دور مفهوم الذات في إدراك الفرد لنفسه، و بيئته و توجيه سلوكه الأمر الذي دعا إلى وضع مسلمة مفادها، أن إدراكات الفرد لخصائص شخصيته

و قدراته و قيمه و مثله و أهدافه، و أسلوبه في الحياة وحدة كلية تؤثر في سلوكه

و تنظمه و توجهه كما تؤثر في توافقه و فعاليته، فالأشخاص الذين ينظرون إلى أنفسهم كأشخاص غير مرغوب فيهم يميلون إلى القيام بسلوك يتناسب مع هذه النظرة،

و الأشخاص الذين لديهم مفاهيم ايجابية يتمكنون من التوافق الاجتماعي، و لديهم اهتمام بالآخرين، و لا يتصرفون تصرفات هوجاء لأن القيام بمثل هذا السلوك يضر بالذات نفسها، و بالتالي فإن الكيفية التي يدرك بها الفرد ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلك بها

و تؤثر في إدراكه لبيئته باعتبارها بيئة محببة أو بيئة يشعر فيها بالأمن و الطمأنينة.

(محمود عطا حسين، 1987، ص 105)

و لكون أغلب الأحداث الجانحين يعانون من تدني في مفهوم الذات، أصبحت الدراسات تهتم بتطوير مفهوم ايجابي عن الذات لوقاية الأحداث من الدخول في عالم الجريمة، و كذلك الاهتمام بتغيير و تحسين مفهوم الذات لدى الحدث الجانح حتى يتخلص من السلوكيات الجانحة و تحميه من العود إلى الجريمة.

و يعتبر بيرنز و دوبسن(1984)Burns&Dobson بأن تطوير مفهوم إيجابي عن الذات يعتبر عملا مهما و جوهريا للعمل المتوافق و الفعال، فهو يؤثر في القدرة على التفاعل بشكل ايجابي مع الآخرين، و يؤثر في التحصيل الدراسي في المدرسة، و في العمل، و يؤدي إلى التحرر من الضغوط و التوتر الذي يقود إلى العصاب و الإصابة بالأضرار أو إلى الجنوح.

و تؤكد الدراسات التجريبية على أن مفهوم الذات يتمتع بمستوى عال من الثبات عبر الزمن، و أن التغيرات التي تحدث تكون بفعل تدخل جهود الأخصائيين في الإرشاد

و العلاج النفسي، حيث لاحظ ايتزن (1976)Eitzen تغيرات في مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين الذين خضعوا لبرنامج تعديل السلوك، و قد كان هذا التغير ايجابيا

و كان مصاحبا لإدراك الأحداث الجانحين لتقييم الآخرين عنهم.

كما أظهر كل من شور و ماسيمو و ريكس(1965)Shore&Massimo&Ricks أنه بتغيير مشاعر الجانحين حول قدراتهم و كفاءتهم، فإن تقديرهم لذواتهم يتغير نحو الأحسن و تبعا لذلك يتغير إدراكهم لرموز السلطة. (Burns & Dobson, 1984)

و في دراسة قام بها كيريش(1978)Kerich للتعرف على أثر برنامج إرشاد الأقران على الأحداث الجانحين في مراكز التأهيل و الإصلاح، تبين أن هناك فروقا واضحة بين المجموعة التي تعرضت للبرنامج و المجموعة التي لم تتعرض للبرنامج

حيث برز تحسنا واضحا و ملحوظا في كل من مفهوم الذات و أداء المهمات و الواجبات اليومية لدى الأحداث الجانحين. (عدنان العتوم و عدنان الفرخ، 1995)

كما هدفت الدراسة التي قامت بها تيندال ليند (1999) Tyndall –Lind إلى مقارنة فعالية العلاج الجماعي باللعب مع الأقران مع العلاج الفردي باللعب في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث المعرضين للعنف المنزلي و خفض مشاكلهم السلوكية كالعنصرية و الجنوح. و قد أسفرت النتائج على تحسن مفهوم الذات و انخفاض في المشاكل السلوكية (العنصرية و الجنوح)، كما تبين بأن كل من العلاج الفردي و العلاج الجماعي لهما نفس الفعالية.

و لغرض التعديل من السلوكيات الجانحة للشباب كانت الدراسة التي قامت بها كيتين ليزا و آخرون (2003) Keating&AL حيث هدفت للتأكد من فعالية برنامج يقدم النصح

و هو موجه للشباب المعرض لخطر الجنوح، تراوحت أعمارهم من 10 إلى 17 سنة تكونت عينة الدراسة من 34 شابا يشكلون المجموعة التجريبية التي شاركت في البرنامج و 34 شابا يشكلون المجموعة الضابطة التي لم تشارك في البرنامج. و قد استغرقت الدراسة 6 أشهر و استخدمت مقياس بيرس هاريس لمفهوم الذات و مقياس التقرير الذاتي للجنوح و قد اعتمدت على الأسلوب الإحصائي تحليل التباين لقياس التغير بين القياس القبلي و البعدي، و قد دلت النتائج على وجود تحسن في مفهوم الذات يعود لأثر البرنامج.

و يرى بيتر رينولدز (1983) Reynolds بأن أولئك الذين يشعرون بأنهم على ما يرام تجاه أنفسهم من المحتمل أن يتعاملون بفعالية أكثر مع المشاكل، و هو يعتقد أنه عندما يعزز مفهوم الذات فإن المشاكل ستبدو أقل خطورة. و في هذا الصدد كانت دراسة فرايرر و آخرون (1977) Fryrear & Al التي هدفت لتحديد الأحداث الجانحين من الذكور الذين حصلوا على أدنى الدرجات على مقياس تنسلي لمفهوم الذات و خاصة الذات الاجتماعية، و القيام بتعزيز مفهومهم عن أنفسهم و ذلك من خلال برنامج تصوير فوتوغرافي و تقديم التغذية الراجعة، و التفاعل الاجتماعي الناجح.

و بما أن التمتع بمفهوم ايجابي عن الذات يساعد الفرد في التعامل بشكل ايجابي مع الآخرين ومع الأحداث، فقد جاءت دراستنا و التي تهدف لتحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين و ذلك بتطبيق برنامج إرشاد جماعي يستند إلى النظرية العاطفية العقلية السلوكية لألبرت اليس (Albert, Ellis)، و بالاعتماد على استخدام العديد من التقنيات كتغيير الأفكار اللاعقلانية إلى أفكار عقلانية، و تعديل الحديث الذاتي السلبي إلى حديث ايجابي و التدريب على الاسترخاء و التدريب التوكيدي و الضبط الذاتي، و حل المشكلات و غيرها من التقنيات.

من خلال كل ما سبق يمكننا طرح الإشكال التالي:

هل لبرنامج الإرشاد الجماعي أثر في تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين؟

1- فرضيات الدراسة

1-1 الفرضية العامة

يؤدي برنامج الإرشاد الجماعي إلى تحسين مفهوم الذات لدى الأحداث الجانحين.

2-1 الفرضيات الجزئية

الفرضية الجزئية الأولى

توجد فروق في مفهوم الذات بين المجموعة التجريبية التي تلقت برنامج الإرشاد الجماعي و المجموعة الضابطة التي لم تتلقى البرنامج في القياس البعدي لصالح المجموع التجريبية.

الفرضية الجزئية الثانية

توجد فروق في مفهوم الذات لدى أفراد المجموعة التجريبية، بين القياس القبلي و القياس البعدي.

2 - الطريقة و الإجراءات

1-2- المنهج المستخدم

يتم اختيار المنهج وفقا لطبيعة الموضوع، و المنهج الذي يتناسب مع موضوع بحثنا هو المنهج التجريبي، حيث تستهدف الدراسة التجريبية جمع المعلومات و تنظيمها بشكل يؤدي إلى إلقاء الضوء على مدى صحة الفروض، و ترجع كفاية هذا المنهج في انه يسمح بتكرار الملاحظات تحت شروط واحدة عمليا و هذا ييسر تحقيق الملاحظات بواسطة كثير من الملاحظين، كما يمكن الملاحظ من أن يفترض شرطا واحدا فقط في نفس الوقت

و يبقى على جميع الشروط الأخرى ثابتة بدرجة كبيرة (محمود عبد الحليم منسي

و سهير كامل احمد، 2002، ص455).

و لتحقق المنهج التجريبي كان لا بد من استخدام عينتين متساويتين مجموعة تجريبية و مجموعة ضابطة، و تمت المعالجة التجريبية للمتغير التجريبي الذي يراد الكشف عن تأثيره، بينما تم ضبط المجموعة الضابطة دون التعرض لها، و تعرض المجموعة التجريبية للمتغير المستقل.

2-2- مجتمع الدراسة

إن تحديد المجتمع الأصلي للدراسة عملية أساسية تستحق الاهتمام حيث يجب التعرف على كل عناصره. ويتكون مجتمع دراستنا من جميع الأحداث الجانحين المتواجدين في مركز إعادة التربية المتخصص خزناسي عبد الواحد بمدينة سطيف، و يقدر عددهم بإثنان و أربعون حدثا جانحا تم دخولهم إلى المركز بأمر من السيد قاضي الأحداث نتيجة اقترافهم لجنحة أو جناية أو لخطر معنوي.

2-3- العينة

تكونت عينة بحثنا من الأحداث الجانحين الذين حصلوا على درجات متدنية على مقياس تنسي لمفهوم الذات و قد كان عددهم ستة عشر (16) حدثا جانحا.

1-3-2- حجم العينة وطريقة اختيارها

بعد تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات على مجتمع الدراسة تم انتقاء 16 حدثا جانحا هم الذين حصلوا على درجات متدنية على المقياس و كان اختيارهم قسديا، ثم تم تعيينهم عشوائيا على مجموعات الدراسة، و ذلك بكتابة أسماء الجانحين الستة عشر الذين حصلوا على درجات متدنية في بطاقات صغيرة و خلطها بعضها ببعض ثم تم اختيار الأفراد الذين يتوزعون على المجموعة التجريبية و المجموعة الضابطة.

2-3-2- خصائص العينة

تكونت عينة الدراسة من ستة عشر حدثا جانحا حصلوا على درجات متدنية على مقياس تنسي لمفهوم الذات، مقيمين بمركز إعادة التربية المتخصص خزناسي عبد الواحد بمدينة سطيف، تتراوح أعمارهم من 16 إلى 18 سنة، و يتراوح مستواهم التعليمي من السنة الأولى متوسط إلى السنة الرابعة متوسط، و تتراوح المخالفات التي قاموا بها من السرقة إلى السرقة تحت تهديد السلاح إلى حيازة و ترويج المخدرات إلى الاعتداء الجنسي، إلى الخطر المعنوي، و كلهم ذكور.

و الجدول التالي يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن و المستوى التعليمي و نوع الجنح

المتغير	التكرار	النسبة	المجموع
السن	2	%12.50	16
	9	%56.25	17
	5	%31.25	18
	4	%25	أولى متوسط
			%100